

(الْحَثُّ عَلَى الْكَسْبِ الْحَلَالِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْكَسْبِ الْحَرَامِ)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ، عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَمَرَنَا بِالْعَمَلِ وَالسَّعْيِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَجَعَلَ السَّعْيَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ الْحَلَالَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ إِذَا صَلَّحَتِ النَّيَّةُ وَاسْتَقَامَ الْعَمَلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]، وَكَانَ عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ، وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ كَمَا وَعَدْتَنِي، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

وَلَقَدْ أَمَرْنَا رَبَّنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَأَنْ نَبْتَعدَ عَنِ الْحَرَامِ وَالْحَبَائِثِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]، وَلَمْ يَفَرِّقِ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْأَمْرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَالْجَمِيعُ مَأْمُورُونَ بِطَلَبِ الْحَلَالِ وَاجْتِنَابِ الْحَرَامِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» [رواه مُسْلِمٌ].

إِنَّ الْكَسْبَ الْحَلَالَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَإِنَّ الْمَالَ الطَّيِّبَ يُعِينُ صَاحِبَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَجْلِبُ لَهُ الْبَرَكَةُ وَالْخَيْرُ، فَقَدْ قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خُلُوةٌ خَصْرَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطَيْبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]، وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُرُوكَ لُهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكُنْتُمَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُمَا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

فَانْظُرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، كَيْفَ جَعَلَ الصِّدْقَ سَبَبًا لِلْبَرَكَاتِ، وَجَعَلَ الْكَذِبَ سَبَبًا لِمَحْقِ الْبَرَكَاتِ، إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ مَا بُنِيَ عَلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَطْيَبِ الْكَسْبِ، فَقَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» [رَوَاهُ أَحْمَدُ]، وَالْبَيْعُ الْمَبْرُورُ هُوَ الْبَيْعُ الصَّادِقُ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ، وَلَا غِشٍّ، وَلَا خِيَانَةَ وَلِشَرَفِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ فِي التِّجَارَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصَّدِيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ]، فَيَا مَنْ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي، اتَّقِ اللَّهَ فِي تِجَارَتِكَ، وَلَا تَجْعَلْ هَمَّكَ جَمْعَ الْمَالِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ، بَلِ اجْعَلْ هَمَّكَ أَنْ يَكُونَ مَالُكَ طَيِّبًا، وَأَنْ تَكُونَ تِجَارَتُكَ قَائِمَةً عَلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ.

إِنَّ الْمَالَ الْحَرَامَ يَصُرُّ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ يَمَحُقُ الْبَرَكَاتِ، وَيَمْنَعُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ وَالشَّقَاءَ، وَيَكُونُ وَبَالًا عَلَى صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَذِّرًا مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: 29]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَلَقَدْ حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنْ زَمَانٍ يَقُلُّ فِيهِ خَوْفُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ، فَيَجْمَعُونَ الْمَالَ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ، فَقَالَ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

إِنَّ صُورَ الْمَالِ الْحَرَامِ كَثِيرَةٌ فِي حَيَاتِنَا، فَمِنْهَا: أَكْلُ الرِّبَا، وَأَخْذُ الرِّشْوَةِ، وَاخْتِلَاسُ أَمْوَالِ النَّاسِ أَوْ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ، وَالْغِشُّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَإِخْفَاءُ عُيُوبِ الْبُضَاعَةِ، وَأَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ، وَأَخْذُ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَدَاءُ الْعَمَلِ عَلَى وَجْهِ التَّقْصِيرِ مَعَ أَخْذِ الْأَجْرِ دُونَ اسْتِحْقَاقِهِ. وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا تَأْخِيرُ حُقُوقِ الْعَمَالِ وَعَدَمُ إِعْطَائِهِمْ أَجُورَهُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ» [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ]، فَاتَّقُوا اللَّهَ فَيَمُنَ يَعْمَلُونَ عِنْدَكُمْ، وَأَعْطُوا النَّاسَ حُقُوقَهُمْ كَامِلَةً، وَلَا تَسْتَغْلُوا حَاجَةَ الْعَامِلِ أَوْ ضَعْفَهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: اعْلَمُوا أَنَّ الْكَسْبَ الْحَلَالَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا، فِيهِ خَيْرٌ وَبَرَكَاتٌ كَثِيرَةٌ، بَيْنَمَا الْحَرَامَ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا، فَقَدْ مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ، وَسَاءَتْ عَاقِبَتُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الْمائدة: 100]، فَتَذَكَّرُوا، عِبَادَ اللَّهِ،



أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَأَنَّ الْمَالَ مَهْمَا كَثُرَ سَوَفَ يَتْرَكُهُ صَاحِبُهُ، وَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا عَمَلُهُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرَبُّو حَتْمَ نَبْتٍ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أُولَى بِهِ» [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ].

فَاحْذَرُوا الْمَالَ الْحَرَامَ، وَاحْذَرُوا أَنْ تُطْعِمُوا أَبْنَاءَكُمْ مِنْ مَالٍ لَا يَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَنْ مَالِهِ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَتَذَكَّرُوا دَائِمًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88-89].

كتبه فضيلة الشيخ / محمد محمود العدل، مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل.